المثل (تلك بتلك) لتكون شاهدا على ان العرب عرفوا القصة كما عرفوا المثل على عكس ما يقول احمد أمين .

نخرج من كل ما سبق بان اللغة العربية التي خرجت من الجزيرة مع الاسلام ، واقامت الحضارة الاسلامية كانت لغة سليمة ناضجة مستوفاة الاساليب لا يعيبها نقص فى طبيعتها تحت اي اسم او شكل ، ولا يعجزها ، كما ثبت ذلك بالدليل التاريخى الحاسم ابان عصرالنهضة الاسلامية، ان تعبر بلغة العلموالفلسفة والادب ، وكما تفعل ذلك الآن ، واذن فنظرية العقلية التركيبية ، واللغة التركيبية لم تقدم على اى دراسة حقيقية للغة العربية فى كافة انشطتها المختلفة وان الايجاز ليس هو اسلوب العربية الوحيد ، وانما هو اسلوب من اساليبها التى نضجت نضجا كبيرا قبل الاسلام ، الا انه فى الوقت نفسه اسلوب يسجل ميزات لهذه اللغة جديرة بالدراسة كما يشكل ظاهرة حضارية جديرة بالدراسة وسنؤجل دراسة شبهة التركيبية فى الشعر والتى يطلق عليها وحدة البيت الى دراسة مفصلة لاسلوب الشعر القديم ، اما الآن فنريد ان نقوم بدراسة للايجاز من خلال نصوص نثرية باعتباره ظاهرة حضارية ، ولما كان القرآن هو النص الموثوق بصحته فى باب النصوص النثرية ، كما انه اعتمد على الايجاز كوسيلة اساسية فى تعبيره فانا سنقدم هذه الدراسة من خلال نصوص قرآنية منظورا اليها من وجهة نظر لغوية فقط ، وذلك مع الاستعانة فى الايجاز بالاجمال والامثال العربية القديمة وحديث الرسول عليه السلام .

الايجاز ودلالته الفكرية :

قلنا ان الايجاز يشتمل على ضربين احدهما الايجاز بالاجمال ، وهو ، كما قلنا ، وضع المعانى الكثيرة فى الالفاظ القليلة مع بقاء الجملة على حالها واحتفاظها باركانها الاساسية والايجاز بالاجمال ليس وقفا على العربية وحدها وانما هو شائع فى اللغات العالمية بما فيها اللغات السامية ، ومن ثم فليس فيه ميزة خاصة يمكن ان تنفرد بها العربية كما انه ليس من السهل استكشاف دلالته على نوع خاص من التطور اللغوي ، اما الضرب الثانى وهو الايجاز بالحذف فهو الذي يهمنا فى هذا المقام وترجع قيمة الحذف فى العربية الى ارتباطه الوثيق بفكرة الزمن وتطورها ثم استخدامها فى التعبير ، ومما يستلفت النظر ان الايجاز بالحذف يدخل بصفة اساسية فى تركيب القصيدة القديمة وبنيتها ، كما يدخل فى الوقت نفسه ، وبنفس القدر فى تركيب التعبير القرآنى مشكلا اهم دعائم اعجازه ، وسنفرد الشعر بدراسة خاصة باعتباره حجر الاساس فى دراستنا ونقتصر هنا على تقديمبعض النماذج القرآنية على هذا الضرب من الفن ، وستقوم هذه الدراسة على اساس من فك التعبير القرآنى الى ابعاده الحقيقية بقدر الامكان ولن تقوم هذه الدراسة على اساس من تفسير المعانى ، وانما سنقتصر فقط كما قلت على فك التعبير ، ولذلك سأضع النص القرآنى فى اقواس يتصل بينها التعبير عن طريق سرد ما يمكن ان يحل محل الكلمات المستغنى عنها على ما اعتقد والله اعلم بمراده .

النص الأول : « قصة ميلاد موسى » .

(و) قد سبق فى الزمن القديم ان (اوحينا الى ام) النبى « موسى » بعد ان وضعته « ان ارضعيه فاذا خفت عليه) من فرعون وجنوده (فالقيه فى اليم) فى تابوت من خشب (ولا تخافى) عليه الغرق (ولا تحزنى) على فقده و « انا رادوه اليك » سليما بعد فترة من الزمن تطول او تقصر (و) انا « جاعلوه » بعد ان يبلغ مبلغ الرجال « من المرسلين) فلما القته فى اليم دفع به التيار جهة قصر فرعون « فالتقطه آل فرعون » من الماء حين ابصروا به « ليكون لهم » بعد حين وهم جاهلون بما سيكون « عدوا » لانه سيتصدى لطغيانهم « وحزنا) لانا سوف ننصره عليهم وذلك « ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا) فى اعتقادهم وسياستهم وتصرفاتهم «خاطئين وقالت امرأة» فرعون لما رأته وخشيت عليه القتل « فرعون » ابق عليه « قرة عين لى ولك » فليس لنا اولاد و « لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولداً) واستجاب فرعون وجنوده لرجائها ، وابقوا على حياة الغلام « وهم لا يشعرون) بما سيصيبهم على يديه حين يبلغ مبلغ الرجال ، ويكلف بالرسالة « وأصبح فؤاد ام موسى فارغا » من شدة القلق على ابنها الذى لم تعد تعرف من امره شيئا ، وبلغت بها شدة قلقها وجزعها حدا « ان كادت » معه « لتبدي به » وتفشى خبره « لولا ان ربطنا على قلبها » وثبتناها « لتكون من المؤمنين » بأمر الله وتصديقه وصدق وعده ، ولكنها مع ذلك حاولت ان تعرف شيئا من اخباره وتطمئن على حياته « وقالت

لاخته قصيه » فخرجت الفتاة تتلمس بحذر اخبار اخيها وتتقصاها ، وانتهى بها المسير الى قصر فرعون ، وانتهزت غفلة من الحراس فدخلت القصر خلسة دون أن يحس بها احد ، وظلت تبحث داخل القصر «فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون » ، واستطاعت بحيلتها وذكائها ان تكسب ثقة اهل القصر فاستبقوها فيه وفرحت بذلك لتكون على مقربة من اخيها (و) لتتم امرا قدرناه وكنا قد « حرمنا عليه المراضع » من قبل دخولها فلما عرفت بذلك احتالت لترده الى امه « فقالت » لهم « هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون » واستجابوا لها ، ودفعوا اليها بالغلام لتسلمه الى هؤلاء الناس (ف) فاخذته الى بيتها و « رددناه الى أمه كي تقر عينها» به « ولا تحزن » لفقده « ولتعلم ان وعد الله » لها «حق» ووعده دائما الحق « ولكن » الناس«اكثرهم لا يعلمون » ذلك .. سورة القصص : 31/7

النص الثاني : سورة الرحمن :

انكر يا محمد نعمة الله « الرحمن » الذى من عظيم رحمته بك وبامتك ان « علم » ك «القرآن » والذي من نعمته ورحمته أن « خلق الانسان » وميزه عن سائر المخلوقات بأن « علمه البيان » ، والذي من نعمته ورحمته بهذا الانسان ، جعل حركة « الشمس » الحركة المحسوبة بدقة حياة الاحياء على الارض « والقمر بحسبان » دقيق ، فى فلك منتظم وربط بهذه صغيرها وكبيرها «و» جعل نبات « النجم » الدقيق « والشجر » الضخم « يسجدان » استجابة لهذا الربط الدقيق بين حركة الافلاك وحياة الاحياء «و» من نعمته ورحمته ان بنى « السماء رفعها » بحساب دقيق ، ونظام دقيق « ووضع » لها «الميزان» كى لا تختل حركتها وحركة ما فيها من اجرام وكي لا يضطرب نظامها فيضطرب معه نظام الوجود كله ، ولم يجعل الله هذا النظام الدقيق وقفا على حركة الاجرام ونظامها فقط ، بل جعله نظاما عاما يشمل كل شيء ، فيجب عليكم ان تراعوا سنن الله فى ضبط الكون وبنائه على اصول وقواعد وعليكم«الا تطغوا فى» هذا «الميزان» وتتجاوزوا حدوده ، فتختل حياتكم بخروجها على هذا النظام الدقيق المحكم « واقيموا » حياتكم على اسس من هذا القانون الصارم قانون « الوزن بالقسط » ولا تنحرفوا عنه بالهوى بالشهوات فتضلوا عن الطريق المستقيم «ولا» تحيدوا عن هذا القانون الدقيق فى معاملتكم للاخرين و « تخسروا الميزان » نبينا لكم العقاب ، ويعود هذا الخسر عليكم ، لان قانون الله وحده وسنته لا تتخلف . «و» اعلموا ان « الارض » التى تعيشون عليها قد « وضعها » الله « للانام » جميعا بلا تفرقة بينهم ، ولا تمييز ، وقد وفر الله للبشر جميعا كل ما يحتاجونه من ضروريات الحياة وكمالياتها فجعل « فيها فاكهة » من شتى الانواع ، والاشكال ، والاحجام ، والمذاقات «و» جعل فيها « النخل ذات الاكمام » لتاكلوا من ثمره «و» جعل فيها «الحب» على اختلاف انواعه ما تعرفون وما لا تعرفون ليتغذى عليه الانسان «ذو العصف» اي التين ليتغذى عليه الحيوان «و» فيها الى جانب هذه الضروريات التى تقوم بها الحياة كماليات تحملها وتزينها مثل « الريحان » .

هذه هى آلاء الله ونعمه عليكم «فباي» من هذه الـ « آلاء » والنعم التى خلقها « ربكما » والتى عددنا « تكذبان » وتنكران من ناحية وجودها او من ناحية قيمتها ؟

ولكن هذه النعم وحدها ليست كل مظاهر رحمة الله ، ودلائل قدرته ، فمن مظاهر رحمته ودلائل قدرته ايضا انه « خلق الانسان » بتركيبه العجيب وطاقاته الكثيرة ، وقدرته على التكلم ، والتفكير ، والحركة والعمل « من » شيء تافه حقير هو الـ « صلصال » اليابس الذي لا حياة فيه « كالفخار » الذي تصنعونه من الطين ، « و » من عجائب صنعه انه «خلق الجان» وهو مخلوق لا تستطيعون رؤيته مع انه يتحرك بينكم ، ويعيش معكم « من » شيء تعرفونه جيدا هو «مارج» لهب « من نار ، فباي » من « آلاء ربكما » هذه ومظاهر قدرته « تكذبان » وتنكران وجودا وقيمة ؟

ذلك هو الله « رب » الافلاك الذي يتحكم فى حركتها من « المشرقين » ، « ورب » هما الذى يتحكم فى حركتها من « المغربين » والذي يحركها فى حساب دقيق ، فى نظام مرسوم « فباي » من « آلاء ربكما » هذه ومظاهر قدرته « تكذبان » وتنكران وجودا وقيمة ؟

ولكن هذه النعم على عظمتها ، ومظاهر القدرة هذه على ضخامتها ، ليست وحدها كل ما خلق الله و قد « مرج البحرين » الملح والعذب وجعلهما مع اختلاف طبيعتهما «يلتقيان» فلا يجور احدهما على الآخر لان « بينهما برزخ » يفصل بينهما و « لا يبغيان » .

« فبأي » من « آلاء ربكما » هذه ومظاهر قدرته « تكذبان » وتنكران وجودا وقيمة ؟ وليست هذه فقط كل نعم الله ومظاهر قدرته فى خلق هذه البحار ، ووضع النظام ، فقد جعل فيها منافع شتى حيث « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » مما تستعملونه لزينتكم ومتاعكم « فبأي » من « آلاء ربكما » هذه ومظاهر قدرته « تكذبان » وتنكران وجوداً وقيمة ؟ ولا تقف فائدة البحار بالنسبة لكم عند هذا الحد ، كما ان لله فيها نظاما آخر يدل على عظمة قدرته « وله » دليلا على هذه القدرة السفن « الجوار المنشآت » من صنعكم « في البحر » والتى تجري على ظهر الماء « كالاعلام » اي الجبال « فبأى » من « آلاء ربكما » هذه ومظاهر قدرته « تكذبان » وتنكران وجودا وقيمة ؟

هذه هى نعم الله عليكم وهذه هى دلائل عظمته وقدرته تحت اعينكم ولكن كل ما تشاهدونه من خلق عجيب ، ونظام عجيب ، وهذه الارض و « كل من عليها » من مخلوقات « فان » والى زوال « و » لن « يبقى » فى نهاية الامر الا « وجه ربك ذو الجلال والاكرام » . «فبأى» من «آلاء ربكما » هذه ومظاهر قدرته «تكذبان » وتنكران وجوداً وقيمة ؟ هل بقى عندكم من شك فى قدرة الله على اخفاء هذه الموجودات بعد ايجادها، وكيف يكون هناك شك، وهو ربها وصاحبها والمصرف لامرها « يسأله من فى السموات والارض » سؤال احتياج لاسؤال لسان ، فيعطى كل سائل سؤله ، من نظام ، او حياة ، او رزق . . . الخ ، فنراه « كل يوم هو فى شأن » من شؤون الكون الدائم التغيير والتجدد . « فبأي » من « آلاء ربكما » هذه ومظاهر قدرته « تكذبان » وتنكران وجودا وقيمة ؟

وان هذا الملك العظيم لا يتصرف الا بأمر الله وحده ، وبمشيئته وحده وكل من فيه خاضع لتصريف الله ومشيئته ، وحين يفنى هذا الكون ، وينتهى أمر تصريفه وتدبيره « سنفرغ لكم أيها الثقلان» لنجازى كلا على عمله ، فلا يصح لكم بعد كل ما ذكرناه ان تشكوا فى ان مصيركم الينا ، ولا تظنوا انكم قادرون على الافلات من قبضتنا . « فبأى » من « آلاء ربكما » هذه ومظاهر قدرته « تكذبان » وتنكران وجودا وقدرة ؟

وانى ادعوكم جميعا « يا معشر الجن والانس » على سبيل التحدى « ان استطعتم » الخروج من قبضتنا وملكنا بـ « ان تنفذوا من اقطار السموات والارض » بعيدا عن ملكنا وعن سلطاننا « فانفذوا » ولن تستطيعوا ذلك لانكم « لا تنفذون » من ملكنا « الا بسلطان » منا « فبأى » من « آلاء ربكما » هذه ومظاهر قدرته « تكذبان » وتنكران اعجازا وقدرة ؟ انكم لو فكرتم فى الخروج من ملكنا وملكتم القدرة عليه فسوف « يرسل عليكما » حينئذ « شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » منا « فبأى » من (آلاء ربكما) هذه ومظاهر قدرته « تكذبان » وتنكران اعجازا وقدرة ؟

فهل بقى لديكم من شك فى قدرة الله على احياء الموتى ، وبعثهم ليوم الحساب ، فاذا كان قد بقى لديكم شك فى هذا اليوم فانتظروا حتى تعاينوا ذلك بأنفسكم ، «فاذا انشقت السماء » ؛ فى هذا اليوم العصيب ، الذي سينتهى فيه هذا الكون « فكانت » السماء فى هذا اليوم « وردة » فى لونها « كالدهان » الممتزج الالوان ، وذلك شىء لا شك فيه « فبأي » من «آلاء ربكما» هذه ودلائل قدرته على البعث والنشور « تكذبان » وتنكران شكا وعجبا ؟ فى هذا اليوم الذى نحدثكم عنه « يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ » منهم الى جهنم حيث مقرهم ومثواهم « بالنواصى والاقدام » «فبأى» من « آلاء ربكما » هذه ودلائل قدرته على البعث والحساب « تكذبان » وتنكران شكا وعجبا ؟

فى هذا اليوم الذي نحدثكم عنه ينادي المنادي يا ايها المكذبون المنكرون ليوم الدين « هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون » ها هم فى داخلها و «يطوفون بينها وبين حميم آن . فبأى » من « آلاء ربكما » هذه ودلائل قدرته « تكذبان » وتنكران عجبا ودهشة . ؟

وهذا المصير الذي نحدثكم عنه هو مصير المجرمين « ولمن » آمن بهذا اليوم ، وهذا المصير و «خاف مقام ربه»فى حياته الدنيا ،وعمل صالحا وفى هذا اليوم العصيب « جنتان » جزاء له على عمله وايمانه « فبأى » من « آلاء ربكما » هذه ودلائل قدرته « تكذبان » وتنكران عجبا ودهشة ؟ . . ان ذلك لا شك فيه هاتان الجنتان «فيهما عينان تجريان» . «فبأي» من « آلاء ربكما » هذه ودلائل قدرته « تكذبان » وتنكران عجبا ودهشة ؟ وهاتان الجنتان « فيهما » أيضا « من كل فاكهة زوجان » ونوعان لا نوع واحد « فبأى » من « آلاء ربكما » هذه ودلائل قدرته « تكذبان » وتنكران عجبا ودهشة ؟ كذبوا عجبا ودهشة ان شئتم فيومها